

آليات التواصل اللفظي في الأحاديث القدسية

Mechanisms of verbal communication in sacred hadiths

يزيد بن اسباع*

لخضر بلخير

جامعة – باتنة 1-

جامعة – باتنة 1-

مخبر الموسوعة الجزائرية الميسرة

yazid.bensbaa@univ-batna.dzlakhdar.belkhir@univ-batna.dz

تاريخ الإرسال: 2022-04-22

تاريخ القبول: 2024-05-28

الملخص:

تعد الأحاديث القدسية رسالة تواصلية متميزة بسند المعنى وحيا من الله -عز وجل- ومن الله إلى الرسول ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى موجهة إلى متلق أبدي لا يحده مكان ولا يحويه زمان. جرى التواصل من خلال هذه النصوص على النسق المألوف بين تواصل لفظي وآخر غير لفظي، لكن الخطوة فيه كانت للتواصل اللفظي تأكيداً على أهمية اللغة الشفهية ذات البعد الإنساني والحضاري... فما هي خصائصها؟ وما هي أهدافها؟ للإجابة على هذه التساؤلات اخترنا الموضوع تحت عنوان: (الأحاديث القدسية وآليات التواصل اللفظي) في محاولة لتمييز هذه الآليات عن بعضها من ناحية وتقريب ما ترومه من أهداف من ناحية أخرى.

الكلمات المفتاحية:

أحاديث، قدسية، تواصل، لفظي، غير لفظي.

Summary:

The sacred hadiths are a distinct communicative message based on meaning and revelation from God Almighty and from God to the Messenger who does not speak out of desire, addressed to an eternal recipient who is not limited by place or time.

Communication took place through these texts according to the familiar pattern between verbal and non-verbal communication, but the predominance in it was verbal communication, emphasizing the importance of oral language with a human and cultural dimension... What are its characteristics? What are the objectives? To answer these questions, we chose the topic under the title: Holy Hadiths and Verbal Communication Mechanisms in an attempt to distinguish these mechanisms from each other on one hand and bring their intended goals closer to each other on the other.

keywords:

Sacred conversations, verbal and non-verbal communication.

وجدت النّصوص على اختلافها وسيلة تواصلية تروم تحقيق أهداف مختلفة. وقد تنوّعت هذه النّصوص وتنوّعت أساليبها وتفاوتت أهمّيتها، غير أن النّصوص الدّينية لقيت اهتماماً أكبر في الثّقافة العربيّة الإسلاميّة لأنّها مصدر كلّ القيم، وإنّ إعادة قراءة هذه النّصوص هو فتح من الفتوحات الحضاريّة الّتي تؤكّد صلاحيتها في كلّ زمان ومكان وانفتاحها على تطوّر الثّقافة، ومن النّصوص الدّينية نذكر الأحاديث القدسيّة.

تعريف الحديث:

. تعريف الحديث لغة:

الحديث من المادّة اللّغويّة (حَدَثَ): وهو «نقيض القديم... والحديث: الخبر، يأتي على القليل والكثير ويجمع على أحاديث، على غير قياس... واحد الأحاديث أُحْدِثَ ثُمَّ جَعَلُوهُ جمعاً للحديث. والْحُدُوثُ: كون الشّيء لم يكن وأحدثه الله فَحَدَّثَ. وَحَدَّثَ أَمْرٌ: وَقَعَ... وَاسْتَحْدَثْتُ خَبَرًا؛ أي وجدت خبراً جديداً»¹.

تعبّر لفظة الحديث في اللّغة عن الجديد الّذي هو ضدّ القديم، وقد وظّفت اللفظة للدّلالة على الخبر -أيضاً- كونها تقترب دلاليّاً من لفظة الجديد؛ فالخبر حدث كلاميّ يحمل في ثناياه خطاباً جديداً يفيد به المخاطب السّامع؛ لأنّ الخبر لفائدة².

والحديث هو القرآن الكريم يقول الله عزّ وجلّ: ﴿فَدَرْنِي وَمَنْ يُكْذِبُ هَذَا الْخَبِيثُ﴾³؛ حيث: «عنى بالحديث: القرآن؛ عن الزّجاج... وقوله: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ

¹ أبو نصر إسماعيل بن حمّاد الجوهريّ، الصّحاح، تاج اللّغة وصحاح العربيّة، مراجعة: محمّد محمّد تامر وأنس محمّد الشّاميّ وزكريّا برأحمد، دار الحديث، القاهرة، 1430هـ-2009م، مادّة (حَدَثَ)، ص228.

² ينظر: جلال الدّين محمّد بن عبد الرّحمن، الخطيب القزويني، (666هـ-739هـ)، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق وتعليق: لجنة كلّية اللّغة العربيّة بالجامع الأزهر، دار اقرأ، د ط، 1/17.

³ سورة القلم، 44/28.

فَحَدَّثْتُ¹؛ أي بَلَغَ ما أرسلت به، وحَدَّثَ²؛ فالقرآن حَدَّثَ كَلَامِي أعجز أرباب الفصاحة، وهو حديث رَبَّانِي أنزله الله عزَّ وجلَّ على نبيِّه مُحَمَّدٍ ﷺ ليحدِّث به الإنسانِيَّةَ جمعاء، ويبلِّغها به.

ولمَّا كان القرآن الكريم والخطاب النَّبَوِيَّ حديثًا جديدًا عند العرب اتَّسع المصطلح ليشمل القرآن الكريم، وخطاب الرَّسُولِ ﷺ الَّذِي انتهى إليه المصطلح بالتَّخصيص حين أصبح لفظ الحديث خاصًا بنبيِّنا الكريم.

والحديث هو كلام الرَّسُولِ ﷺ، وسنَّته الَّتِي رسمها لنا. فالمحدَّث هو الرَّسُولُ الصَّادِقُ³؛ «والْحَدِيثُ: ما يُحَدَّثُ به المُحَدَّثُ تَحْدِيثًا...»⁴، وورد في تعريف الحديث -بصورة أوسع- أَنَّهُ سَنَةٌ؛ والسَّنَةُ في اللُّغة هي الطَّرِيقَةُ والسَّيْرَةُ حميدة كانت أو ذميمة، لكنَّها عند الإطلاق تتصرَّف إلى الحميدة⁵.

وعلى الرَّغم من جنوح مصطلح الحديث إلى التَّخصُّص اسما لكلام الرَّسُولِ ﷺ إلَّا أَنَّهُ في اصطلاح المحدثين: «هو أقوال النَّبِيِّ ﷺ وأفعاله، وتقريراته، وصفاته الخَلْقِيَّةُ والخُلُقِيَّةُ»⁶ ليشمل الحديث كلَّ ماله علاقة بشخص الرَّسُولِ ﷺ من سَنَةٍ قولِيَّة، أو سَنَةٍ فعلِيَّة، أو سَنَةٍ تقريرِيَّة، أو صفات جسدِيَّة (خَلْقِيَّة) أو صفات خُلُقِيَّة⁷.

ومن العلماء من يزيد المصطلح إلمامًا بمعانٍ أخرى ليشمل: «أقوال الصَّحابة والتَّابعين وأفعالهم، وهو اصطلاح آخر يشهد له صنيع كثير من المحدثين حيث لا يقتصرون

¹ سورة الضَّحَى، 11/93.

² ينظر: أبو الفضل جمال الدِّين مُحَمَّد بن مكرم بن منظور الإفرقيِّ المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط8، 2008، مادة (حَدَّثَ)، ج4/ص53.

³ ينظر: مجد الدِّين مُحَمَّد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، دار الكتاب العربي باب الثَّاء، مادة (حَدَّثَ)، ج5/ص54.

⁴ ابن منظور، لسان العرب، مادة (حَدَّثَ)، ج4/ص54.

⁵ ينظر: أحمد بن مُحَمَّد بن علي المقرئ الفيومي، المصباح المنير في غريب الشَّرح الكبير للرافعي، تحقيق: عبد العظيم الشَّناوي، دار المعارف، ط2، القاهرة، مادة (حدث)، ص124.

⁶ مُحَمَّد بن مُحَمَّد أبو شهبه، الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، دار المعرفة، جَدَّة، ط1، 1403هـ-1983م، ص15.

⁷ ينظر: المرجع نفسه، ص ص15، 16.

على المرفوع إلى النبي ﷺ¹ تحقيقاً لنوع من التواصل الاجتماعي والديني الذي ترتقي فيه أقوال الصحابة والتابعين وأعمالهم لتبلغ مبلغ الحديث النبوي.

تعريف الحديث القدسي:

يعدّ الحديث القدسي واحداً من الخطابات النبوية فهو: «ما يرويه صدر الرواة، وصدر الثقات -عليه أفضل الصلوات- عن الله تبارك وتعالى بواسطة جبريل -عليه السلام- وتارة بالوحي أو الإلهام أو المنام، مفوضاً إليه التعبير بأي عبارة شاء، من أنواع الكلام»²، وهو كلام: «غير معجز في لفظه، وغالب ما يصدر الحديث القدسي بقول النبي ﷺ: قال الله تعالى:....، أو يقول الله تعالى:....، أو قال ربكم:....، أو أوحى الله إليّ كذا....، وما أشبه ذلك من الصيغ التي تشير إلى أنّ المحكي هو من كلام الله تعالى وليس من كلام النبي ﷺ»³. فالحديث القدسي وحي الله عز وجل بلفظ الرسول ﷺ في ثنائية حمل فيها هذا الخطاب المعنى الرباني واللفظ النبوي من طريق الوحي الذي يحمله روح القدس إلى النبي ﷺ أو الإلهام، أو المنام. وقد أُلحق وصف الحديث بالقدسي، وهو من القدس والتّقدس: الذي يعني تنزيه الله عز وجل، والقدوس اسم من أسماء الله تعالى، وهو فعول من القدس ويعني الطهارة لقوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ﴾⁴، فالقدوس: هو الطاهر المنزه عن العيوب والنقائص، وفي التنزيل قوله جلّ شأنه: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾⁵، ومعنى نُقَدِّسُ لَكَ أي نُطَهِّرُ أنفسنا لك، وكذلك نفعل بمن أطاعك، نُقَدِّسُهُ أي نُطَهِّرُهُ⁶؛ لأن: «التّقدس هو التّطهير»⁷.

¹ المرجع نفسه، ص15.

² توفيق شعلان، الأحاديث القدسية، مراجعة: اللجنة الفنية التوفيقية، المكتبة التوفيقية، ط2.

2013م، مصر، ص5.

³ محمد تامر، وعبد العزيز مصطفى، الأحاديث القدسية الصحيحة وشروحها، دار التقوى، ص5.

⁴ سورة الجمعة، 62 / 01.

⁵ سورة البقرة، 30 / 02.

⁶ ينظر: الجوهري، الصحاح، مادة (قَدَسَ)، ص920. وينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (قَدَسَ)،

ج12/ ص ص39، 40.

⁷ محمد راتب النابلسي، موسوعة أسماء الله الحسنى، دار الكتيبي، ط5، 1429هـ-2008م، ج1/ ص53.

وهذا تتعدّد المسمّيات وتتنوّع سياقات استعمال لفظة (القُدُس) لتلتفّ في النّهاية حول معنى مشترك هو الطّهارة وما تحمله من معاني التّنزّه عن كلّ دنس مادّي أو معنويّ، والكفّ عن كلّ إثم.

والحديث القدسيّ خطاب تداوليّ بامتياز حيث يكون تأويل الرّسالة فيه أمرا يسيرا للمتلقيّ بسبب بنائه اللّغويّ المتاح للفهم والذي يحوز على ضروريّات الدّين، عقيدة وعبادة. وعلى الرّغم من سهولة لغته وبساطة تركيبه إلّا أنّه يخفي تحت فهمه الأوّل معاني مضمرة تجعله خطابا مكثّفا.¹

مفهوم التّواصل:

1- تعريف التّواصل لغة:

التّواصل من المادّة اللّغويّة وَصَلَ، و «الوَاو والصّاد واللام أصل واحد يدلّ على ضمّ الشّيء إلى شيء حتّى يعلقه»² وهي من «وصل الشّيء بالشّيء وَصْلاً وَصْلاً بالكسر والضّمّ... والشّيء وإليه وصولاً ووُصِّلَ وَصِلاً: بلغه وانتهى إليه. وأوصله واتّصل: لم ينقطع»³ كما نجد -أيضاً- أنّ: «الوصل ضدّ الهجران... الوصل خلاف الفصل... واتّصل الرّجل انتسب... يقال: وصل إليه واتّصل إذا انتى ... والتّواصل: ضدّ التّصارم وفي الحديث ﴿مَنْ أَرَادَ أَنْ يَطُولَ عُمُرُهُ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ﴾»⁴.

التّواصل هو ما عبّر عنه بمصطلح الضّمّ الذي هو ضدّ القطع، من خلال ضمّ الشّيء إلى شيء آخر. حتّى يعلقه، وهو-أيضاً- الوصال وهو خلاف القطيعة والهجران، وهو بذلك يحمل معنى التّرابط بين الدّوات والانتساب والانتماء.

2- التّواصل اصطلاحاً:

¹ ينظر: محمّد الصّالح انصر، البنية الحجاجيّة للخطابات القدسيّة، الأحاديث الموسومة بالعبوديّة -أنموذجاً-، دراسة تداوليّة، مجلّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، العدد 17 ديسمبر 2016، كليّة اللّغة والأدب العربي والفنون، قسم اللّغة العربيّة وآدابها، جامعة باتنة 1، ص 225.

² أحمد بن فارس بن زكريّا القزويني، معجم مقاييس اللّغة، تح: عبد السّلام هارون، مادّة (وَصَلَ)، ص 1094.

³ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، باب اللّام، مادّة (وَصَلَ)، مج 4، ص 64.

⁴ ابن منظور، لسان العرب، مادّة (وَصَلَ)، مج 15، ص 224، 225.

يوحي مصطلح التّواصل الّذي جاء على وزن (تَفَاعُل) بالاشتراك المتبادل بين طرفين أو أكثر؛ وأمّا أحدهما فهو منتج الرّسالة، وأمّا الآخر فهو مستقبلها؛ حيث يكون ذلك على سبيل تبادل الأدوار. إنّ موضوع التّواصل الإنسانيّ مجال معرفيّ تتقاسمه تخصّصات عديدة...¹ وعلى الرّغم من هذا الاختلاف والتّنوع في التّخصّصات والتّعريفات إلّا أنّ جميع الدّراسات تتفق على أنّ التّواصل عمليّة تفاعليّة تحدث بين طرفين أو أكثر لها أهداف وغايات كتبادل المعلومات وتقاسم المعرفة حول موضوع أو عدة موضوعات.²

إنّ العمليّة التّواصلية الّتي لا يتمّ التّواصل إلّا بها تتكون من عناصر هي (المرسل والرّسالة والمرسل إليه والسّنن والقناة).³

عناصر العمليّة التّواصلية:

1. المرسل: يعدّ المرسل العنصر الأوّل في العمليّة التّواصلية وهو: الباعث الأوّل على إنشاء خطاب يوجّه إلى المرسل إليه في شكل رسالة...⁴؛ قصد إفادته.⁵
2. المرسل إليه: المرسل إليه هو العنصر الثّاني في العمليّة التّواصلية، وهو المخاطب والسّامع والشّاهد والقارئ، وهو متلقي الرّسالة ومستقبلها⁶ الّذي يقوم بعمليّة فك رموز الرّسالة⁷ بغية فهم قصد المرسل، وترجمة ذلك إلى استجابة قوليّة أو فعليّة⁸؛ تحقّق مبدأ تبادل الأدوار بين المتخاطبين.

¹ ينظر: م. امحمد اسماعيلي علوي، التّواصل الإنسانيّ-دراسة لسانيّة-، دار كنوز المعرفة، 2012، عمّان، الأردن، ص18.

² ينظر: المرجع السابق، ص19.

³ عمر أوكان، اللّسانيّات، مجلّة فكر ونقد، المغرب، العدد 36، 2000.

⁴ ينظر: الطّاهر بومزير، التّواصل اللّسانيّ والشّعريّة، مقارنة تحليليّة لنظريّة رومان جاكوبسون، <http://www.fikrwanakd.aljabriabed.net/n36-08ucan.htm>، يوم: 2022/07/02 على السّاعة: 18.30

⁵ ينظر: الطّاهر بومزير، التّواصل اللّسانيّ والشّعريّة، مقارنة تحليليّة لنظريّة رومان جاكوبسون، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، ط1، 1428هـ، 2007م، ص24.

⁶ ينظر: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتّبيين، تحقيق: عبد السلام محمّد هارون، دار الفكر، ط4، بيروت، مج1/ج1، ص76.

⁷ ينظر: زبيدة بن اسباع، استراتيجيّة التّواصل، مجلّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، افتتاحيّة العدد الثّاني 2022، مج15، ص13.

⁸ الطّاهر بومزير، التّواصل اللّسانيّ والشّعريّة، مقارنة تحليليّة لنظريّة رومان جاكوبسون، ص25.

⁹ ينظر: المرجع نفسه، ص25، 26.

3. الرسالة: الرسالة هي الوسيط بين المرسل والمتلقي و «هي الجانب الملموس في العملية التخاطبية حيث تتجسد عندها أفكار المرسل»¹، وتشمل التواصل اللفظي وغير اللفظي من إشارات وإيماءات²، حاملة للمعنى أو الأفكار لإبلاغها لشخص آخر³.
4. السنن: تمثل السنن النظم التواصلية المتمثلة في العلامات اللغوية الدالة ورموزها المعبر بها عن مضمون الرسالة⁴. وقد عبر اللسانيون عنها بمصطلحات متعددة منها (اللغة Langue).
5. السياق: تفتن الدارسون إلى أهمية السياق في إنجاح العملية التواصلية حيث رأوا أن الإنسان اجتماعي بطبعه⁵، والتواصل في المجتمع يقتضي مراعاة المواقف الاجتماعية وسياق الأحداث في بناء الرسالة⁶.
6. القناة: تؤدي القناة في العملية التواصلية دور الوسيط الذي يتم عبره تمرير الرسالة. وقد تكون هذه القناة عبارة عن وسيط ذي إدراك سمعي وهو الصوت أو وسيط ذي إدراك بصري⁷ مثل الكتابة والإشارات، أو وسيط ذي إدراك لمسي مثل قراءة الرمز الخطي المتعارف عليه بينهم (البرايل)⁸، وسلامة الممر من سلامة إدراك الرسالة⁹.

¹ الطاهر بومزير، التواصل اللساني والشعرية، مقارنة تحليلية لنظرية رومان جاكوبسون، ص 27.

² ينظر: المرجع السابق، ص 27.

³ ينظر: م. امحمد اسماعيلي العلوي، التواصل الإنساني، دراسة لسانية، ص 21.

⁴ ينظر: الطاهر بومزير، التواصل اللساني والشعرية، مقارنة تحليلية لنظرية رومان جاكوبسون، ص 28.

⁵ ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين، مج 1/ ج 1، ص 75.

⁶ ينظر: جمعان بن عبد الكريم، من تحليل الخطاب إلى تحليل الخطاب النقدي (مناهج ونظريات)، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط 1، 1437هـ-2016م، عمان، ص ص 159-161.

⁷ ينظر: م. امحمد اسماعيلي علوي، التواصل الإنساني، دراسة لسانية، ص 21.

⁸ ينظر: زبيدة بن اسباع، اللغة والتواصل، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، افتتاحية العدد الثاني 2021، مج 14، ص 14، 15.

⁹ ينظر: المرجع نفسه، ص 21.

أنواع التّواصل:

يقسّم الدارسون التّواصل قسمين: تواصل لفظي، وتواصل غير لفظي تبعاً لأصناف الدلالات من لفظي¹ وغير لفظي² فهذه الأساليب التّواصلية وسيلة تجسيد المعاني والأفكار.

• التّواصل اللفظي:

هو الظاهرة اللغوية التي جاء في تعريفها أنّها ظاهرة صوتيّة؛ يعبر بها كلّ قوم عن أغراضهم³. من طريق الجهاز الصوتي، والصوت هو آلة اللفظ، ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً إلا بظهور الصوت، ولا تكون الحروف كلاماً إلا بالتقطيع والتأليف⁴، فالصوت له أهميّة كبرى في تحقيق التّواصل. فمن خلاله يتم استثمار مهارتين لغويتين متكاملتين هما مهارة التكلم وإرسالاً ومهارة الاستماع تلقياً لإنجاح التّواصل⁵.

إنّ التّواصل اللفظي هو أرق أنواع التّواصل، وهو قيمة إنسانيّة وحضارية إنّه يأخذ بعداً أعمق في ثقافة العرب الذين أخذوا بأسباب المشافهة في الرواية ليظلّ لسان حالهم حيّاً على ألسنة الناطقين جيلاً بعد جيل. إنّها ثقافة التّواصل اللفظي النابض بالحياة الدافع للركود في بيئة لم تضع الحرب فيها أوزارها ولم يستقر بها العيش بين كرفٍ وحلٍ وترحال في بيداء النّاجي منها فائز، على الرّغم من قسوة الحياة لم يثن عزيمة الرّواة عائق عن توصيل تراث العرب شعره ونثره، إنّها لغة المشافهة في حلّة الشعر الهيمّة التي يمتدّ تأثيرها بعد الإسلام سلوكاً تواصلياً قوامه الحديث النبويّ النّاقل لمختلف القيم⁶.

أنواع التّواصل اللفظي في الأحاديث القدسيّة:

¹ ينظر: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريّا، معجم المقاييس في اللّغة، دار الفكر، ط1، 1433هـ- 2011م، بيروت، لبنان، مادّة: (لَفَظَ)، ص958. وينظر: ابن منظور: لسان العرب، مادّة: (لَفَظَ)، مج 13/ ص216.

² ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين، مج 1/ ج 1، ص76.

³ ينظر: أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق: عبد الحكيم بن محمّد، المكتبة التوفيقية، دط، دت، ج 1/ ص44.

⁴ ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين، مج 1/ ج 1، ص79.

⁵ ينظر: م. امحمد اسماعيلي علوي، التّواصل الإنساني، دراسة لسانيّة، ص35.

⁶ ينظر: زبيدة بن اسباح، استراتيجيّة التّواصل، مجلّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، افتتاحيّة العدد الأوّل 2022، مج 15، ص14، 15.

جرى التّواصل اللفظي في الأحاديث القدسيّة على ثلاثة أنواع رئيسة؛ هي التّواصل اللفظي المباشر، والتّواصل الحواريّ، والتّواصل بالقصّة.

أولاً: التّواصل اللفّظي المباشر:

من الأساليب التّواصلية الواردة في لغة الحديث القدسي التّواصل المباشر ومن أمثلته ما جاء في فضل الحبّ في الله، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: [إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بَجَلَالِي؟ الْيَوْمَ أَظْلُهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي] 1. يدور موضوع الحديث حول الأخوة والمحبة في الله قيمةً إنسانيةً تواصليةً تهدف إلى ابتغاء مرضاته تعالى في الدّنيا ونيل الخطوة في الآخرة، إِنَّ الْمُتَحَابِّينَ تَعْظِيمًا لِلَّهِ وَطَاعَةً لَهُ هُمَ الَّذِينَ أَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ حُبٌّ صَادِقٌ لَا قَرَابَةَ فِيهِ لِلْأَرْحَامِ، وَلَا صِلَةَ فِيهِ لِلْأَنْسَابِ 2، ليكون الجزاء يوم القيامة عظيمًا، وما أعظمه من يوم يسأل فيه العليّ العظيم سؤالاً مهمًا بالمتحابين فيه تقديرًا لهم وتبجيلًا، سؤالًا طيبًا يفضي إلى الجزاء الذي يرجوه كلّ عبد، وقد تعدّد جزاؤه تعالى فيما عدّدته روايات الحديث تمييزًا لعلاقة الأخوة والمحبة فيما رُوي عن عبادة بن الصّامت رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلّم يحكي عن ربّه عزّ وجلّ يَقُولُ: [حَقَّقْتُ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيّ، وَحَقَّقْتُ مَحَبَّتِي لِلْمُتَبَاذِلِينَ فِيّ، وَحَقَّقْتُ مَحَبَّتِي لِلْمُتَزَاوِرِينَ فِيّ، وَالْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ] 3. وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلّم: [قَالَ اللَّهُ عزّ وجلّ: الْمُتَحَابُّونَ فِي جَلَالِي لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ] 4.

جاءت الأحاديث القدسيّة الثلاثة مختصرةً تضمّر اختزال المسافة بين الله وعباده المتحابين فيه الذين اختصروا المسافة بينهم وغدوا إخوة متحابين.

ولعلّ أروع الأمثال في المحبة في الله ما رواه البخاري عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: إِنَّ الْمُهَاجِرِينَ لَمَّا قَدِمُوا إِلَى الْمَدِينَةِ وَرَثَ الْمُهَاجِرِيُّ الْأَنْصَارِيَّ: لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخَى بَيْنَهُمْ

1- أخرجه مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: في فضل الحب في الله، رقم الحديث: 2566 / 37، ص1194.

² ينظر: المكتبة الوقفيّة، صحيح الأحاديث القدسيّة، ص 207.

3- صححه الألباني في صحيح الجامع، رقم الحديث: 4321، ص 796.

4- صححه الألباني في صحيح الجامع، رقم الحديث: 4312، ص 795.

فَوَرَّثَ الْأَنْصَارِيُّ الْمُهَاجِرِيَّ دُونَ صَلَهِ رَحِمِ، فَلَمْ نَزَلْ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيً﴾¹ نسخت، ثم قال: ﴿الَّذِينَ عَقَدْتُ أَيْمَانُكُمْ﴾² أي من نصرة ورفادة ونصيحة، وقد ذهب الميراث³.

كان هدف النّبي -عليه السّلام- بمؤاخاته بين المهاجرين والأنصار في ظلّ الإسلام أن تتجاوز النّعة الجاهليّة؛ إنّ هذه المحبّة فيه -عزّ وجلّ- والأخوة لوجهه الكريم خطوة هامّة نحو سلوك حضاريّ أسّس على مبدأين اثنين؛ أولهما هدم كيان النّعة الجاهليّة وعصبية الأنساب، والأخرى بناء العلاقات الاجتماعيّة على أساس متين من الإيمان بالعقيدة الإسلاميّة إذ لا إيمان دون أخوة، ولا أخوة دون عقيدة⁴.

إنّ المحبّة في الله تقتضي أن يذكر أحدهما الآخر بالله في العبادات والمعاملات والمؤازرة. إنّها المحبّة فيه -عزّ وجلّ- تلعو عن منافع الدّنيا وتسمو عن قرابة الأرحام إلى قرابة الأرواح، وأولئك هم المتحابّون الذين عدّهم النّبي ﷺ في السّبعة الذين يظّلهم الله بظلّه يوم لا ظلّ إلّا ظلّه في قوله: [...] وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ⁵. وعلى سبيل الاختزال العدديّ عدّ النّبي ﷺ الرّجلين رجلاً واحداً ليختصر الرّقم في سبعة بدل الثّمانية اختصار الرّجلين المتحابّين المجتمعين في رقم واحد تأكيد لعلاقة القربى بينهم لوجهه الكريم⁶.

فهؤلاء المتحابّون في جلاله، فما هو الظّلّ الذي سيظّلهم به تعالى يوم لا ظلّ إلّا ظلّه؟ الظّلّ هو ضوء الشّمس وشعاعها؛ لأنّه إذا لم يكن ضوء فهو ظلمة لا ظلّ⁷. وجاء في تفسير الظّلّ من الأحاديث آراء مختلفة؛ الظّلّ: ظلّ العرش، عرش الرّحمن -عزّ وجلّ- وقاية من الشّمس ووهج الأنفوس، وهو أعظم الفضل، والظّلّ: كقّه تعالى المتحابّين عن المكاره،

¹ سورة النّساء، 33/04.

² سورة النّساء، 33/04.

³ ينظر: البخاري، الصّحيح، (4580) في التّفسير، وينظر: صحيح الأحاديث القدسيّة، ص 209.

⁴ ينظر: المكتبة الوقفيّة، صحيح الأحاديث القدسيّة، ص 209.

⁵ أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، (1/ 133)،

رقم: (660)، ومسلم، كتاب الزّكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، (2/ 715)، رقم: (1031).

⁶ ينظر: المكتبة الوقفيّة، صحيح الأحاديث القدسيّة، ص 207.

⁷ ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادّة (ظَلَّلَ)، ج 9/189.

وإكرامه لهم وجعلهم في كنفه. ومن معانيه ظلّ الجنّة ونعيمها في عيش طيّب؛ وقد جاء وصفها: ﴿أَكْلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾¹. والظلّ -أيضا- الجنّة، وهي نعيم وراحة واستقرار².

إنّ كرم الله وفضله كفيل أن يجعل هذه الظلال التفسيرية لظله عطاء شاملاً لمن صدقت محبته فيه ترغيباً في ذلك وتحبيباً.

إنّ هذه الأحاديث هي لغة تواصلية مباشرة صريحة ومختصرة مختزلة للمسافة بين العبد وربّه مضمرة لمقولة الترغيب في العلاقات الإنسانية السامية التي تتغيى وجه الله وتسمو عن مصالح الدنيا التي تتجاوز فيها العلاقات قرابة الدنيا الفانية إلى قرابة الآخرة الباقية.

الأحاديث رسالة تربوية تهدف إلى وضع منهج ثابت قوامه الصدق في المعاملات بنية خالصة لوجهه الكريم تأسيساً لمجتمع صالح دعائمه التفاعل الإيجابي بين أفرادها. ومن خصائص هذه الأحاديث القدسية لغتها البسيطة المباشرة وترابطها، فهي كالبنيان المرصوص الذي يشدّ بعضه بعضاً فيكمّل الحديث غيره إلحاحاً على فكرة المحبة في جلاله، ويفضي الموضوع إلى غيره تثميناً للجزاء كظله تعالى رحمة ونعمة...، ومنابر من نور...، يغيثها الشهداء... ممّا جاء من أفكار متوالية في سياقات متعاقبة ترسخ السلوك القويم وما يترتب عليه من جزاء وعطاء. وهذا التواصل الصريح أحد أساليب الأحاديث القدسية.

ثانياً: التواصل الحواري:

هو أسلوب تواصلٍ فعّال في نصوص الأحاديث القدسية نذكر منه رواية مسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَائِكَةً سَيَّارَةً، فَضُلّاً يَتَّبِعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِساً فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ، حَتَّى يَمْلُؤُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادٍ لَكَ فِي الْأَرْضِ، يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُهَلِّلُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ

¹ سورة الرعد، 35/13.

² ينظر: النووي على شرح مسلم، 339/8. وينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (ظَلَّلَ)، 189/9.

وينظر: صحيح الأحاديث القدسية، ص 210.

وَيَسْأَلُونَكَ، قَالَ: وَمَاذَا يَسْأَلُونِي؟ قالوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتْكَ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قالوا: لَا، أَيْ رَبِّ قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قالوا: وَيَسْتَجِيرُونَكَ، قَالَ: وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَنِي؟ قالوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا نَارِي؟ قالوا: لَا، قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟ قالوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا، وَأَجَزْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا، قَالَ: فَيَقُولُونَ: رَبِّ فَمِهِمْ فَلَانَّ عَبْدٌ خَطَّاءٌ، إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَلَهُ غَفَرْتُ هُمْ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ¹.

يعدّ ذكر الله تعالى أصلاً من أصول العبادة، بل هو مرتبة عالية من مراتبها فبالذكر يرتقي العبد إلى أعلى عليّين ويسمو إلى الجنّة استحقاقاً لإيمانه الذي أوثق العلاقة بينه وبين خالقه، وذاكر الله متفكراً في عظّمته. فينال العبد شرف الضّيافة الرّبانيّة، ويكون أهلاً للخطاب الإلهي، ونعم الخطاب ذكراً ونعم المخاطب ربّاً، ونعم المخاطب مؤمناً ذاكر². يعكس الحديث القدسيّ لغة تواصلية متفرّدة بين العبد وخالقه -عزّ وجلّ- من خلال الذّكر تسبيحاً وتكبيراً وتهليلاً وحمداً وسؤالاً واستجارة... إنّها لغة مجالس الذّكر التي تحقّقها الملائكة. وبلغة تواصلية حوارية تنقل الملائكة صدى كلمات الذّكر إليه -عزّ وجلّ-، لتحاور الله تعالى عالم كلّ شيء حول معلوم مجالس ذكره ليس بينها وبين الله حجاب. إنّ تواصل العبد مع ربّه هو أرقى أنواع التّواصل البشريّ الذي يلخصّها الذّكر لغة شفهيّة تسمو على كلّ اللّغات، إنّهُ أسلوب متميّز من أساليب الخطاب من المخلوق إلى خالقه -عزّ وجلّ-.

فما هي حقيقة الذّكر؟ وما هي أساليبه التّواصلية؟ وما هي أهدافه؟ وما هي مقولاته المضمرّة؟

جاء في تعريف الذّكر: هو الصّيّت والثّناء ويكون باللسّان والقلب³. إنّ الذّكر سلوك لغويّ محلّه اللّسان كما أنّ للقلب فيه نصيباً. الذّكر: الصّيّت وهو الذّكر الجميل الذي

¹ - أخرجه مسلم، كتاب: الذّكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: فضل مجالس الذّكر، رقم الحديث: 25 / 1239، 2689.

² ينظر: صحيح الأحاديث القدسيّة، دراسة وتحقيق حامد أحمد الطّاهر، دار الفجر للتراث، القاهرة، ط2، 1434هـ-2013م، ص ص 90، 91.

³ ينظر: الجوهرى، الصّحاح، مادّة (ذُكِرَ)، ص 407.

ينتشر في الناس دون القبيح، بُي الصَّيْتُ على كَسْرِ الصَّاد تمييزاً له عن الصَّوْت، وربّما حلَّ الصَّيْتُ محلَّ الصَّوْت فقل انتشر صيته بين الناس¹.
فالدَّكر سلوك لغويّ جميل -على سبيل التَّخصيص- لا مجال للقبيح فيه، محلّه اللسان، وهو في نصّ الحديث في حقّه تعالى.
ماهي أساليب الدَّكر؟

1. التَّسْبِيحُ: هو قولك سبحان الله معناه تنزيه الله تعالى من كلّ سوء².
2. التَّكْبِيرُ: التَّعْظِيم، وفي الأذان الله أكبر³.
3. التَّهْلِيلُ: وهو قول لا إله إلّا الله⁴.
4. الحَمْدُ: هو شكر الله ابتداءً للثَّناء عليه والحمد أعمّ من الشُّكر وأشمل⁵.
5. السُّؤَالُ: من سأل بمعنى دَعَا⁶.
6. الاسْتِجَارَةُ: من طلب الجوار، والجار الحليف والمقاسم، والمعيز وهو طلب الأمان⁷.
7. الاسْتِغْفَارُ: الغَفْرُ بمعنى التَّغطية والستر، والاستغفار: طلب المغفرة؛ أي طلب ستر العيوب والدَّنوب⁸.

والأصل فيها جميعاً لفظ أريد به معنًى توأماً يتقرَّب من خلاله مجلس الذكر من الله تعالى، تنزهها له من كلّ سوءٍ، وتعظيمًا وشكرًا وثناءً ودعاءً، ورغبة جوارٍ، وطلب السَّتر، وجميعها بيد الله أهل الثَّناء وأهل المغفرة.

¹ ينظر: المصدر السابق، مادّة (صَوْت)، ص 662.

² ينظر: المصدر نفسه، مادّة (سَبَّحَ)، ص 511.

³ ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادّة (كَبَّرَ)، ج 13/ص 11.

⁴ ينظر: المصدر نفسه، مادّة (هَلَّلَ)، ج 15/ص 84.

⁵ ينظر: المصدر نفسه، مادّة (حَمَدَ)، ج 4/ص 216.

⁶ ينظر: المصدر نفسه، مادّة (سَأَلَ)، ج 7/ص 97.

⁷ ينظر: النَّووي، 16/9، وينظر: صحيح الأحاديث القدسيّة، ص 122. وينظر: ابن منظور، لسان العرب،

مادّة (أَجَرَ)، ج 8/ص 237.

⁸ ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادّة (غَفَرَ)، ج 11/ص 64.

ويتجاوز الدّكر الإتيان بالألفاظ إلى المواظبة عليها كتلاوة القرآن وقراءة الحديث ومدارسته، والتّنقل بالصّلاة وكلّ سلوك ممّا ذكر قوامه التّواصل اللفظي، إنّهُ تواصل العبد مع ربّه في أجلّ صورة يتكامل فيها الإيمان بالله قلباً وقولاً وعملاً¹.

وإنّ أثر هذا الصّنيع ليشمل من كان له حظ مجالسة الدّاكّرين وإن لم يكن منهم، وإنّ بركته لتشمله مغفرة من الله وفضلاً وتحفيزاً على مجالسة الصّالحين² إنّهُ أثر السلوك القويم الذي يعضده إيمان بالقلب وتصديق بالفعل.

ولغة الحوار التّواصلية بين الله وملائكته من أساليب القول التّعليميّة التّربويّة التي رامت إثبات مكانة الإنسان الذي اصطفاه الله على سائر المخلوقات، تنفيذاً تميم مقولة الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾³.

إنّ الدّكر معان يضمّرها القلب خاضعاً لله ممتثلاً لأوامره ونواهيه، لما كان الحديث القدسيّ رسالة تعليميّة تربويّة فقد تجلّت فيها أهمّ أساليب التّعليميّة الفعّالة وهي الحوار، حيث حظي هذا النوع من التّواصل بمساحة واسعة في لغة الخطاب الذي تتجاذبه أطراف متعدّدة ومتنوّعة بطريقة المفاولة التي أسهم في فاعليتها مخاطبون ومخاطبون حمل أغلبهم على الحقيقة والنّادر على سبيل المجاز والإعجاز.

ثالثاً: التّواصل بالقصّة:

تعدّ القصّة أسلوباً من الأساليب التّواصلية الهامّة التي تتفرد بتمييزها لغة رمزيّة تعلو اللّغة التّواصلية والمباشرة ولغة الحوار، كما يمكن أن تضمّر الأسلوبين في بنيتها. من القصص الواردة في نصوص الأحاديث القدسيّة قصّة النّملة .

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ يُوسُفَ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: [قَرِصَتْ نَمْلَةٌ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فَأَمَرَ بِقَرِيَةِ النَّمْلِ فَأُحْرِقَتْ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ قَرِصَتْكَ نَمْلَةٌ أَحْرَقْتَ أُمَّةً مِنَ الْأُمَمِ تُسَبِّحُ]⁴.

¹ ينظر: صحيح الأحاديث القدسيّة، ص 112-114.

² ينظر: المصدر نفسه، ص 221-123.

³ سورة البقرة، 30/2.

⁴ أخرجه البخاري، كتاب: الاجتهاد، باب: إذا حرق المشرك المسلم، رقم الحديث: 3019، م 2، ص 364.

تحليل قصّة النملة:

اختلف العلماء في تحديد شخصية النبي فعند الترميذي أنّه موسى -عليه السلام- ، وقيل عزيز. واستدلّ بالحديث القصصي على جواز حرق الحيوان المؤذي، وقد نهى الشرع في ديننا عن التعذيب بالنار إلا في القصاص بشرطه، وعن ابن عباس أنّ النبي ﷺ نهى عن قتل النملة والنحلة¹، وإنّه لا يخفى علينا تكريم القرآن الكريم لهذين المخلوقين في النمل وسورة النحل ليضرب لنا أروع الأمثال في بناء المجتمع المتكافل المتآزر المتعاون العابد المسبح مصداقا لقوله -عزّ وجلّ-: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾²، وقوله: (أن قرصتك نملة...)، الخبر محمول على استفهام مضمر، على سبيل الاستنكار³. وجاء في رواية أخرى: (فهلّا نملة)، أي: هلّا أحرقت نملة واحدة، وهي النملة التي لدغتك. فحمل معنى القصّة على ضرورة العدل في القصاص وهذا يضمن معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾⁴.

إنّ ورود القصّة حديثاً قدسياً يحيلنا إلى حدث قصصي خارجي وهو مهلك الله تعالى للقرية الظالم أهلها، فشمل العقاب أهل القرية جميعاً، فلمّا وقف نبيّ الله على آثار الهلاك عاتب الله على عقابه الذي لم يستثن منه أحداً، فكان ردّ الله سريعاً يشهد عليه الفعل قبل القول، حيث لجأ النبي إلى الشجرة ليستظلّ بظلّها فلدغته نملة فكان قصاصه من أمة النمل كاملة فعاقبه الله على قصاصه غير العادل الذي لم يطل حياة النمل فحسب بل قطع تسبيحها لله -عزّ وجلّ-⁵. العفو أقرب لقوله -جلّ شأنه-: ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾⁶. يسهم الأسلوب القصصي بتقريب الأحداث والمعاني من واقع المتلقّي، وهو أسلوب إقناعي جذاب يسهم في تشكيلة بناء العمل القصصي. الذي يميّزه عن القصص الأدبيّ الفنيّ بما تلخّصه في العناصر الآتية:

قدسيّة القصّة:

¹اللجنة الفتيّة التوقيفيّة، الأحاديث القدسيّة، ص137.

²سورة النحل، 49/ 16.

³اللجنة الفتيّة التوقيفيّة، الأحاديث القدسيّة، ص137.

⁴سورة فاطر، 18/ 35.

⁵ينظر: شرح القسطلاني، نقلا عن: اللجنة الفتيّة التوقيفيّة، الأحاديث القدسيّة، ص137.

⁶سورة البقرة، 237/ 02.

قصة الأحاديث القدسيّة وحي من الله - عزّ وجلّ - باعتبار ماهية الحديث القدسيّ من ناحية. وهذا ما أكسب هذا النوع من القصص قداسته¹؛ فاستحضار المندثر من الأحداث وسرد أخبار التّابعين بهذا الصّدق يوطّد سلطان الثّقة بين رسالة القصّة والمتلقّي ثقة فيمن ثبت عنه أنّه الصّادق الأمين.

انفتاح قراءات القصّة:

تُعرض القصّة بأسلوب متميّز يجعل الفكرة قادرة على فتح آفاق أفكار أخرى حول القضية أو الفكرة الجوهرية التي تتحدّث عنها²، وهذا الذي عكسته وجهات النّظر المختلفة متأرجحة بين القراءة التفسيرية والقراءة التّأويلية، من أجل بلوغ المعنى القريب والمعنى المضمر في القصّة وأحداثها³.

جاءت القصّة عتاباً ردّاً على عتاب؛ عتاب الله تعالى على عتاب الرّجل الذي استنكر مهلك القرية، والأدب مع الله يقتضي تجنّب العتبي. وهذا ما يحيلنا إلى تأكيد قصور البشر عن إدراك الحكمة من أفعاله - عزّ وجلّ -.

والمضمر من رسالة القصّة أن حكم الله في هلاك القرية ابتلاء للكفّار من باب العقوبة، وبلاء للصّالحين من باب يفضي إلى الثّواب والجزاء. ومن معاني القصّة أنّ ما حدث للرّجل على سبيل التّمثيل الواقعيّ يبصّرنا على الحقّ في القصاص مع ضرورة العدل.

إنّ المضمر من القول هو قصور البشر عن إدراك حكمة حكم الله عزّ وجلّ؛ وهو في كلّ حكم: ﴿أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾⁴، وعلى البشر مراعاة الله في كلّ فعل وقول، وإن كان القصاص من حقوق الخلق، فإنّ التّرجيب على العفو عند المقدرة من المروءة، يقول الله تعالى: عزّ وجلّ عفوّ يحبّ العفو.

إنّ مراعاة الله تعالى في كلّ قول وفعل عين التّقى، والعتاب على إحراق أمة تسبّح لله يفضي إلى ضرورة الالتفات إلى ما يترتّب على العقاب من أذية أو ذنب.

¹ ينظر: كريمة حجازي، القصّة في الحديث النبويّ - دراسة أسلوبية -، مخطوط أطروحة دكتوراه، جامعة باتنة، 2017-2018، ص 75.

² ينظر: كريمة حجازي، القصّة في الحديث النبويّ الشّريف - دراسة أسلوبية، ص 75.

³ ينظر: اللّجنة الفنيّة التّوقيفية، الأحاديث القدسيّة، ص 139.

⁴ سورة الأنبياء، 21/ 83.

العناية بالأحداث لا الأشخاص:

من خصائص القصة تجاوز الحديث ذكر الشخصيات؛ فلم تحدّد هذه القصة - على سبيل التمثيل لا الحصر- شخصية القصة ولا اسمها واختلف المفسّرون بين النّبي موسى -عليه السّلام- وعزير.

وإنّ الأحداث كفيلة بتصوير ملامح الشّخصية فالبادي هو تأثرها بهلاك القرية الذي شمل أصحاب القرية دون استثناء، وهذا يعمّق البعد الإنساني في هذه الشّخصية. واضح في سلوكها ملامح الاندفاع لنصرة الدّات في القصص الذي لم يكن قصاصاً عادلاً طال أمة من النّمل، ولعلّ تلك الأمة كان لها من المكانة ما لم يكن للقرية من الأسباب الذي يترجمه قوله: (أمة تُسبّح الله)، وهنا نجد أنفسنا أمام تجمّعين؛ أحدهما بشريّ وهو القرية والآخر أمة النّمل، وشتان بين القرية والأمة. وفي الوقت نفسه نجد قصور هذه الشّخصية عن إدراك الحكمة الإلهية من هذا الحدث الذي لم يبق مهلكة فرداً، وفي ذلك عدل ورحمة؛ عدل في بلاء الكفّار بالهلاك ورحمة في ابتلاء غيرهم ممّا ضمّت القرية بهذا الحكم. وبهذا تتعالى الأحداث على الأشخاص لتعالى العبرة المنشودة، والحكمة المطلوبة لتنوّع الأفكار في النّصّ بتنوّع الرّؤى.

تعالى القصة على الزّمان والمكان:

ترتفع القصة الدّينية في عمومها عن قيود الزّمان والمكان، ويمتدّ أثرها بين المتلقّين جيلاً بعد جيلٍ، ولو حدّد الزمان بزمان النّبي موسى أو عزير فإنّه مهمّ ونظيره المكان الذي يحيلنا إلى القرية وما أكثر القرى. لكنّ ملامح الفضائيين زماناً ومكاناً يوحيان بوجود حياة يتصارع فيها الإيمان والكفر، وخير دليل موضع القرية التي أهلكها الله. ووجود الأنبياء دليل على انحراف فطرة التّوحيد وانتشار الفساد. وإنّ إجراء موازنة بين القصص الدّينيّ والقصص الأدبيّ الفنّي يجعلنا نذهب مذهب سيّد قطب في أنّ بعض القصص لا تتجاوز محيطها الزماني والمكاني على الرغم من عبقرية الوصف والتصوير¹.

أثر القصة:

إنّ هذا النّوع من التّواصل القصصي له القدرة على أن يشدّ انتباه المتلقّي ويثير انتباهه ويحرّك فيه كثيرًا من الانفعالات فنجدّه مشدودًا إلى متابعة أحداث القصة إلى

¹ ينظر: سيّد قطب، التّقّد الأدبيّ أصوله ومناهجه، دار الشّرق، ط8، 2001، ص79.

نهايتها، ويظلّ موضوع القصّة حيّاً في تفكيره عالقاً في ذهنه لما له من أصالة وقوّة وتنوّع في القضايا الشّاملة لمختلف القيم الإنسانيّة التي تعرض الحياة الإنسانيّة من سلوكات وطباع ومواقف¹

ورد أنّه: في مقدّمة الأمم التي عنيت بلغة المشافهة هي الأمّة العربيّة...². ولما كان حظّها في التدوين قليلاً نشأت عندها ملكة الأخذ، وتحلّل بعضهم عن بعض حتّى كان الواحد منهم كأنّه سجلٌّ يُدوّن فيه التاريخ³. إنهم ضربوا بسهم راجح تفوّقوا فيه عمن سواهم، وشاء الله أن يكون هذا أحد الأسباب الحاملة للأمّة العربيّة على أن تحفظ كتاب ربّها وستّة نبيا وتبليغها للنّاس كافّة، فتشرّفت بحمل خاتمة الرّسالات إلى البشريّة جمعاء⁴. وخلاصة المقال إنّ الأحاديث القدسيّة لغة تواصلية تستحضر كلّ عناصر التّواصل؛ يتفرد فيها المرسل باعتبار الرّسالة وحيا من الله عقد بلفظ الرّسول □، استنادا على سنن العرب على كلامهم، وهو الأفصح لسانا، فكانت آلة التّواصل الصّوت لفظا، وتنوّعت أساليبه بين تواصل لفظي مباشر، وتواصل لفظي حوارّي وتواصل بالقصّة مجسّدة تباين تنوّع وتشاكل أهداف تربويّة تسعى إلى بناء حضارة إنسانيّة قوامها العقيدة والإيمان، إنّ هذه الخطابات التي تلقّاها الأوائل إدراكا سمعيّا وبصريّا أيضا. لمعيشة زمن النّبوة تلقّاها اليوم إدراكا بصريّا لرموز خطيّة حفظت لنا هذا الأثر القدسيّ في سياق حضاريّ دينيّ ملحّ على لغة المشافهة من خلال حفظ الأحاديث القدسيّة لتتعالى هذه اللّغة على الزّمان والمكان من خلال قابليّتها لمواكبة تغيّرات الحياة الاجتماعيّة .

الخاتمة:

بعد هذه الدّراسة المتواضعة التي سعيينا من خلالها إلى تقريب الأحاديث القدسيّة لغة تواصلية لها آلياتها وأهدافها سجّلنا مجموعة من النتائج، أهمّها:

¹ ينظر: كريمة حجازي، القصّة في الحديث النبويّ الشريف -دراسة أسلوبية-، ص 75.

² ينظر: محمّد بن محمّد أبو شهبه، الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، ص 42، 43.

³ ينظر: المرجع نفسه، ص 43.

⁴ ينظر: المرجع نفسه، ص 44.

1. الأحاديث القدسيّة رسالة تواصلية معناها وحي من الله ولغتها لفظ الرسول □
لتجمع الرسالة بين قدسيّة المعنى وحيها منه -عز وجل- وبين جوامع حديثه -عليه الصلاة والسلام- ليتفرّد المرسل ويتميّز عمّن سواه.
2. جرى التّواصل في الأحاديث القدسيّة على وتيرة المألوف الشائع؛ بين لغة تواصلية لفظية وأخرى غير لفظية.
3. كان للتّواصل اللفظيّ الخطوة في نصوص الأحاديث القدسيّة؛ حيث تعدّدت آلياته وتنوّعت أساليبه.
4. تلخّصت آليات التّواصل اللفظيّ في الأحاديث القدسيّة في ثلاثة أنواع هي: التّواصل اللفظيّ المباشر، والتّواصل الحواريّ، والتّواصل بالقصّة تبعاً لمقتضيات الموضوع.
5. اقترنت مقولة الكمّ في تمثّل لغة التّواصل اللفظيّ المباشر، والتّواصل الحواريّ؛ حيث تتقارب نسبة التّوعين من حيث الكمّ المهيمن خلاف التّواصل بالقصّة الذي ندر.
6. نصوص الأحاديث القدسيّة نصوص تربويّة تهدف إلى زرع القيم وترسيخ المبادئ بالأمر تارة والنهي تارة أخرى، إمّا على سبيل التّصريح أو على سبيل التلميح.
7. تتعالى نصوص الأحاديث القدسيّة -بوصفها نصوصاً دينيّة- على الزّمان والمكان لتغدو رسالة تواصلية نافذا سلطانها دون قيد ولا شرط.
8. تتعدّد روايات الأحاديث القدسيّة للموضوع الواحد بالآلية نفسها إلحاحاً على الفكرة، وكثيراً ما نجد ذلك التعدّد يقدّم إضافات تتكامل من خلالها الروايات مؤكّدة مقولة الزيادة في المبنى للزيادة في المعنى.
9. جمعت الأحاديث القدسيّة بين وضوح المعنى وبساطة المبنى؛ لأنّ الهدف من الرسالة هو التّوجيه التربويّ الذي يروم صلاح الفرد والمجتمع في الدارين.
10. لم تحل بساطة المبنى ولا قرب المعنى من تعدّد القراءات؛ لأنّ خاصيّة النّص الدينيّ انفتاحه على هذه الصّفة التي تقرب المعنى تفسيراً وتعمّقه تأويلاً لتكون السّلطة للمتلقي وما يفقهه من معاني مضمرة.

قائمة المصادر والمراجع:

1. أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريّا، معجم المقاييس في اللّغة، دار الفكر، ط1، 1433هـ-2011م، بيروت، لبنان.
2. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السّلام محمّد هارون، دار الفكر، ط4، بيروت.
3. أبو الفتح عثمان بن جيّ، الخصائص، تحقيق: عبد الحكيم بن محمّد، المكتبة التوفيقيّة، دط، دت.
4. أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم بن منظور الإفريقيّ المصريّ، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط8، 2008.
5. أبو نصر إسماعيل بن حمّاد الجوهريّ، الصّحاح، تاج اللّغة وصحاح العربيّة، مراجعة: محمّد محمّد تامر وأنس محمّد الشّاميّ وزكريّا برأحمّد، دار الحديث، القاهرة، 1430هـ-2009م.
6. أحمد بن فارس بن زكريّا القزويني، معجم مقاييس اللّغة، تح: عبد السّلام هارون.
7. أحمد بن محمّد بن عليّ المقرئ الفيّومي، المصباح المنير في غريب الشّرح الكبير للرافعي، تحقيق: عبد العظيم الشّناوي، دار المعارف، ط2، القاهرة.
8. توفيق شعلان، الأحاديث القدسيّة، مراجعة: اللّجنة الفنّيّة التّوفيقيّة، المكتبة التّوفيقيّة، ط2، 2013م، مصر.
9. جلال الدّين محمّد بن عبد الرّحمن، الخطيب القزويني، (666هـ-739هـ)، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق وتعليق: لجنة كليّة اللّغة العربيّة بالجامع الأزهر، دار اقرأ، دط.
10. جمعان بن عبد الكريم، من تحليل الخطاب إلى تحليل الخطاب النّقديّ (مناهج ونظريّات)، دار كنوز المعرفة للنّشر والتّوزيع، ط1، 1437هـ-2016م، عمان.
11. زبيدة بن اسباع، استراتيجيّة التّواصل، مجلّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، افتتاحيّة العدد الثّاني 2022، مج15.
12. زبيدة بن اسباع، اللّغة والتّواصل، مجلّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، افتتاحيّة العدد الثّاني 2021، مج14.
13. الطّاهر بومزبر، التّواصل اللّسانيّ والشّعريّة، مقارنة تحليليّة لنظريّة رومان جاكوبسون، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، ط1، 1428هـ، 2007م.

14. صحيح الأحاديث القدسيّة، دراسة وتحقيق حامد أحمد الطّاهر، دار الفجر للتراث، القاهرة، ط2، 1434هـ-2013م.
15. عمر أوكان، اللّسانيّات، مجلّة فكر ونقد، المغرب، العدد 36، 2000.
- 2022/07/02 <http://www.fikrwanakd.aljabriabed.net/n36-08ucan.htm> يوم: 18.30 على السّاعة.
16. سيّد قطب، التّقّد الأدبيّ أصوله ومناهجه، دار الشّرق، ط8، 2001.
17. كريمة حجازي، القصّة في الحديث النّبويّ -دراسة أسلوبيّة-، مخطوط أطروحة دكتوراه، جامعة باتنة، 2017-2018.
18. م. امحمد اسماعيلي علوي، التّواصل الإنسانيّ-دراسة لسانيّة-، دار كنوز المعرفة، 2012، عمّان، الأردن.
19. مجد الدّين محمّد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، دار الكتاب العربيّ.
20. محمّد بن محمّد أبو شهبّة، الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، دار المعرفة، جدّة، ط1، 1403هـ-1983م.
21. محمّد تامر، وعبد العزيز مصطفى، الأحاديث القدسيّة الصّحيحة وشروحها، دار التّقوى.
22. محمّد راتب النّابلسي، موسوعة أسماء الله الحسنى، دار الكتبيّ، ط5، 1429هـ-2008م.
23. محمّد الصّالح انصر، البنية الحجاجيّة للخطابات القدسيّة، الأحاديث الموسومة بالعبوديّة -أنموذج-، دراسة تداوليّة، مجلّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، العدد 17 ديسمبر 2016، كليّة اللّغة والأدب العربيّ والفنون، قسم اللّغة العربيّة وآدابها، جامعة باتنة1.

